

كيف خططت "إسرائيل" للمجاعة في غزة؟



ترجمة وتحرير: نون بوست

في منتصف كانون الأول/ديسمبر، وبعد شهرين ونصف من الحرب الإسرائيلية على غزة، أفادت لجنة تابعة للأمم المتحدة من خبراء المجاعة أن أكثر من نصف مليون من سكان غزة يواجهون جوعًا كارثيًا، وأن جميع الـ 2.3 مليون نسمة يعانون من أزمة، وأن الوضع "يتدهور بسرعة".

وعشية تقييم المتابعة الذي تجريه لجنة مراجعة المجاعة، فإن المجاعة القسرية في غزة تزداد سوءًا وبسرعة؛ ففي بيان صدر في 5 آذار/مارس، أعلن سبعة خبراء من الأمم المتحدة أن "إسرائيل تقوم بتجويع" غزة عمدًا، وأن "المجاعة واسعة النطاق" في القطاع المحاصر الذي يتعرض للوحشية أصبحت "وشيقة".

وتحدث موقع موندويس مع المؤلف الأول للبيان، مايكل فخري، مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بالحق في الغذاء. وقال فخري لموندويس: "إنه فقط نوع من التطور بسرعة لم نشهده من قبل، فلم نشهد قط أطفالاً يُدفعون نحو سوء التغذية بهذه السرعة، كل هذا كان يمكن الوقاية منه".

وأضاف: "ليس لدي أدنى شك - وهذا مرة أخرى بالتشاور مع الخبراء في جميع أنحاء العالم - ليس لدينا جميعًا أدنى شك في أن الرعب والأعداد ودرجة الجوع ودرجة الوفاة بسبب سوء التغذية ستكون أعلى مما يمكننا قياسه الآن".

وطبقًا لمسؤولين صحيين في غزة و"طبيب كبير"، الذين استشهدت بهم وكالة أسوشيتد برس في 8 آذار/مارس، فقد توفي 20 شخصًا على الأقل بسبب الجفاف وسوء التغذية في كل من مستشفى كمال عدوان والشفاء في شمال غزة، كما توفي ستة عشر من الأطفال الخدج بسبب اضطرابات "مرتبطة

بسوء التغذية" في مستشفى رفح الإماراتي. وفي 10 مارس/آذار، أفادت قناة الجزيرة عن 25 "حالة وفاة معروفة بسبب الجوع" في شمال غزة.

لكي يتم إعلان المجاعة في غزة، يجب استيفاء ثلاثة معايير، كما يقول مايكل فخري، أولًا، يجب أن يواجه ما لا يقل عن 20 بالمائة من سكانها الجوع، وثانيًا، أن يعاني واحد من كل ثلاثة أطفال من "سوء التغذية الحاد أو الهزال".

ومؤشر المجاعة الثالث - وهو أصعب قياسًا في الحروب التي يُمنع فيها الصحفيون والمتخصصون في مجال الإغاثة من الوصول - يجب أن يموت اثنان من كل 10.000 نسمة كل يوم بسبب الجوع أو سوء التغذية أو الأمراض المرتبطة بها.

وقال مايكل فخري لموندويس: "من الصعب تحديد عدد الأشخاص الذين يموتون فعليًا بسبب سوء التغذية والمرض والجوع مقارنة بالقنابل والرصاص، ومع ذلك؛ فإن الحقيقة التي نشهدها الآن هي أن الأطفال يموتون بسبب سوء التغذية والجفاف، وما يخبرنا به ذلك هو أنه من المحتمل أن تكون هناك مجاعة بالفعل".

ويقول فخري إن المجاعة تظهر في غزة بوتيرة غير مسبوقة: "لم نر قط سكاًا مدنيين يُجبرون على الجوع بهذه الدرجة الكاملة وبهذه السرعة، أبدًا في التاريخ الحديث، لم نشهد قط أطفالًا يدفعون نحو سوء التغذية بهذه السرعة".

ويقول فخري إن استخدام "إسرائيل" للطعام كورقة مساومة في مفاوضاتها مع حماس يؤكد ادعاءه وزملاءه في 5 آذار/مارس بأن "إسرائيل" "تجوّع عمدًا" سكان غزة، ويقول فخري: "هذا في الواقع ما قاله الرئيس بايدن اليوم [خطاب حالة الاتحاد في 7 آذار/مارس]، وهو أنه لا ينبغي لإسرائيل أن تستخدم المساعدات الإنسانية كورقة مساومة".

تدمير النظام الغذائي في غزة

بينما يلعب المفاوضون الإسرائيليون لعبة بؤكر المجاعة؛ يرفض الوزراء الإسرائيليون في الحكومة السماح بزيادة شحنات المساعدات فيما يمنعون تسليم المساعدات.

ووفقًا لقناة سكاى نيوز، فإن سلطة الاحتلال العسكري الإسرائيلي (COGAT) مستعدة لزيادة المساعدات إلى شمال غزة إذا طلبت منها الحكومة الإسرائيلية ذلك. وقال شيمون فريدمان، المتحدث باسم مكتب تنسيق أعمال الحكومة في المناطق، لشبكة سكاى نيوز في 7 مارس/آذار: "سيكون هذا قرارًا يجب أن تتخذه الحكومة".

وأضاف: "إذا اتخذوا مثل هذا القرار فسنجد طريقة لتسهيل قرارهم، إذا جاءت التوجيهات من الحكومة، فستجد وحدة تنسيق الأنشطة الحكومية في المناطق طريقة لتحقيق هذه المهمة".

ويقول فخري إن منع المساعدات الغذائية ما هو إلا جزء من المشكلة؛ حيث يتم تدمير النظام الغذائي في غزة بشكل منهجي.

وقال فخري لموندويس: "الأمر لا يقتصر على حرمان المساعدات الإنسانية فحسب، ولا يقتصر الأمر على إطلاق النار على المدنيين الذين يحاولون الحصول على المساعدات الإنسانية، ولا يقتصر الأمر على قصف قوافل الشاحنات الإنسانية، على الرغم من أن تلك الشاحنات الإنسانية تنسق معهم، إنهم يدمرون النظام الغذائي... لقد دمروا أكثر من 80 بالمائة من أساطيل الصيد وشباك الصيد الخاصة بصغار الصيادين في غزة، إنهم يدمرون الأراضي الزراعية والحقول والدفينات والبساتين، إنهم يستخدمون الفسفور الأبيض الذي يسمم الأرض، مما يجعل من المستحيل تقريبًا الزراعة على تلك الأرض في

المستقبل القريب“.

كل هذا بعد سبعة عشر عامًا من الحصار، والذي تجسدت فيه السياسة المعلنة علنًا لتقييد الأسعار الحرارية التي يتناولها سكان غزة. وفي سنة 2006 قال دوف فايسغلاس، مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك إيهود أولمرت، في جملته الشهيرة أن ”الفكرة تتلخص في وضع الفلسطينيين في نظام غذائي، ولكن ليس جعلهم يموتون من الجوع“.

الغذاء كسلاح حرب

وتعزيزًا لنظام القيود الغذائية الراسخ، كانت ”إسرائيل“ تسمح في 7 تشرين الأو/أكتوبر بدخول نحو 500 شاحنة مساعدات إلى غزة يوميًا، واليوم انخفض هذا العدد إلى 100 أو أقل.

ويقول فخري: ”هذا ليس كافيًا بأي حال من الأحوال، مساعدات قليلة هي التي تصل، ومعظمها لا يذهب إلى الشمال... في هذا الجهد، مرة أخرى، لدفع الجميع من الشمال إلى الجنوب، وهو ما قد أضيفه كجريمة حرب ضد المدنيين“.

وقال فخري لموندويس: ”إن إسرائيل تضغط وتخنق شمال غزة، كما قالوا إنهم سيفعلون“. ويتابع فخري أن ”مذبحة الطحين“ التي وقعت في 29 شباط/فبراير رفعت سياسات الخنق إلى مستوى أعلى، لكنها كانت خطوة تالية طبيعية.

وأشار فخري لموندويس أنه في الفترة ما بين 8 و15 تشرين الأو/أكتوبر كانت خطوط المياه الثلاثة في غزة مغلقة - توفر 75 بالمائة من إجمالي إمدادات المياه في غزة -.

وفي 15 تشرين الأو/أكتوبر، أعلن وزير الطاقة والبنية التحتية ”إسرائيل“ كاتس أنه سيتم إعادة المياه إلى وسط وجنوب غزة؛ حيث حثت ”إسرائيل“ سكان غزة على الفرار، ولكن ليس إلى الشمال.

وقال كاتس في ذلك الوقت: ”إن قرار إعادة المياه إلى جنوب قطاع غزة، تم الاتفاق عليه بين رئيس الوزراء نتنياهو والرئيس الأمريكي بايدن، وأنه سيدفع السكان المدنيين إلى الجزء الجنوبي من القطاع“.

وكان حشد الفلسطينيين في جنوب غزة جزءًا من إستراتيجية أكبر، حسبما كشف وزير الخارجية (الذي أصبح الآن خليفة كاتس في وزارة الطاقة)، إيلي كوهين، في 18 تشرين الأو/أكتوبر.

وقال كوهين لراديو الجيش: ”في نهاية هذه الحرب، لن تظل حماس موجودة في غزة فحسب، بل ستنخفض مساحة غزة أيضًا“.

وبعد ثلاثة أشهر، في 22 كانون الثاني/يناير - عندما أصبح خنق المساعدات والتهجير القسري في ذروته - تخلت منظمة الصحة العالمية عن محاولة إيصال المساعدات الغذائية إلى الشمال، وفي اليوم التالي، أوقفت الأونروا عمليات التسليم الخاصة بها، وحذا برنامج الأغذية العالمي حذوهما في 20 شباط/فبراير.

وفي 13 شباط/فبراير، أفاد موقع ”أكسيوس“ أن وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش قد منع تسليم شحنة دقيق مموله من الولايات المتحدة - وهي قابضة في ميناء أسدود - لأن الأونروا هي المتلقية لها.

وبعد أسبوعين، في 28 شباط/فبراير، وصلت قافلة مساعدات أخيرًا إلى شمال غزة، مما دفع السكان الذين يعانون من الجوع إلى حالة من الجنون، وفي ساعات الصباح الباكر من اليوم التالي، وقعت مذبحة الطحين؛ حيث قتل ما يقدر بنحو 114 من سكان غزة، وأصيب 750 آخرين.

وقال مايكل فخري لموندويس إن سكان مدينة غزة كانوا ”يائسين ويتعرضون للوحشية“، وكانت القوات

الإسرائيلية مستعدة لفتح النار عليهم، ويقول إنه بحلول تلك المرحلة، كان الجنود الإسرائيليون قد أطلقوا النار بالفعل على سكان غزة الجائعين في أربع عشرة مناسبة على الأقل.

وقال فخري، ردًا على الادعاءات الإسرائيلية بأنها لم تطلق النار على سكان غزة على الإطلاق، وإذا فعلت ذلك، فقد فعلت ذلك في دفاع عن النفس: "دعونا نتظاهر بأننا لا نعرف عدد الأشخاص الذين ماتوا متأثرين بجراحهم بالرصاص في مذبحه الطحين".

وتابع قائلاً: "لا يُسمح للجنود الإسرائيليين بإطلاق النار على المدنيين أثناء حصولهم على المساعدات الإنسانية. نقطة وارجع إلى السطر. هذا كل شيء. لقد شعر الجنود بالخوف. أيًا كان، إذا أطلقت النار على المدنيين اليائسين، فسيؤدي ذلك إلى الفوضى، أليس كذلك؟ ولذلك أطلقت القوات الإسرائيلية النار على المدنيين الذين كانوا يحصلون على المساعدات الإنسانية، وهو ما يعد جريمة حرب".

إنها جريمة حرب خطيرة، وبموجب المادتين 55 و59 من اتفاقية جنيف الرابعة، فإن قوى الاحتلال مثل "إسرائيل" ملزمة بضمان "الإمدادات الغذائية والطبية للسكان"، وإذا كان كل أو جزء من السكان "يحصلون على إمدادات غير كافية"، "بالموافقة على خطط الإغاثة"، و"تسهيلها بكل الوسائل المتاحة لها".

وتنص اتفاقية جنيف الرابعة أيضًا على أنه ينبغي على الولايات المتحدة والدول الأطراف الأخرى "ضمان" حماية المساعدات الإنسانية.

وفي الوقت نفسه؛ بدأت الولايات المتحدة بإسقاط المواد الغذائية جواً. وفي حادث مأساوي وقع في الثامن من شهر آذار/ مارس، لم تفتح مظلة إحدى طرود المساعدات، مما أدى إلى اصطدامها بحشد من الناس كانوا ينتظرون شحنة طعام، وبحسب ما ورد قتل خمسة وأصيب عدد آخر.

وقال مايكل فخري لموقع "موندويس"، إن "القنابل الأمريكية والمساعدات الأمريكية تسقط في نفس الوقت. إن درجة السخافة الدنيئة - أعني، هذه هي الطريقة الوحيدة التي أعتقد أنني أستطيع وصفها بها".

وإلى جانب السخافات الدنيئة تأتي الأطعمة الدنيئة الصالحة للحيوانات، وهي مرحلة يمكن التنبؤ بها من المجاعة، وقال فخري: "إنهم يطعمون أطفالهم ذلك".

وأضاف "هذا هو الجزء الذي يكون فيه الأمر وحشيًا. إنهم يتخلون عن وجبات الطعام. وسيعطي البالغون الذين يتعين عليهم اختيار من يمكنه تناول الطعام في الأسرة الأولوية للأطفال. وبعد ذلك، كل ما عليهم تقديمه لأطفالهم هو العلف الحيواني، الأمر الذي يؤدي في الواقع إلى الكثير من المشاكل الصحية. تخيل أنك غير قادر على إطعام طفلك، وطفلك ينظر إليك، وليس هناك ما يمكنك فعله. وبعد ذلك يموت".

والبقاء على قيد الحياة يمكن أن يكون أسوأ، وأوضح فخري أنه "عندما لا يحصل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين حديثي الولادة وخمس سنوات على العناصر الغذائية الكافية، فقد يؤدي ذلك إلى ضعف جسدي وإدراكي دائم في المستقبل. وسيحتاج هؤلاء الأطفال في المستقبل إلى قدر كبير من الدعم للتأكد من أنهم يستطيعون أن يعيشوا حياة كريمة. ولكن بعد ذلك، فكر في الصدمة؛ عدد الأطفال الذين فقدوا أسرهم بأكملها، والذين تُركوا بمفردهم، والندوب النفسية للأشخاص الذين تمكنوا من البقاء على قيد الحياة هي على نطاق واسع وإلى حد ما، أعني، كما لو أن إسرائيل تحاول القضاء على جميع الأطفال في غزة".

وقال فخري إن الخلاص لأطفال غزة الجائعين وأولياء أمورهم لن ينزل مثل المن من السماء. وتساءل فخري قائلاً "أتساءل عما إذا كانت المساعدات الأمريكية الجوية هي استجابة للضغوط الداخلية؟ أتساءل

عما إذا كان هذا أكثر أداءً، كطريقة لإظهار أنهم يفعلون شيئاً دون القيام بأي شيء فعلياً؟“.

وقال مايكل فخري لموقع "موندويس" إنه إذا كانت حملة إسقاط المساعدات التي قام بها جو بايدن فعالة - وهي محاولة لتعزيز فرصه في تلك الحملة الأخرى - فهي بعيدة كل البعد عن الجدار. مشيراً إلى أنه "من الغريب تقريباً أن تحاول الإدارة الأمريكية والرئيس بايدن إرسال مساعدات إنسانية بشكل لا تستخدمه إلا في أراضي عدوك، بينما تمنح حليفك درجة من الحرية لا يمنحونها لأي حليف آخر - مجرد إعطائهم شيكاً على بياض وهذا ما يحدث - وحتى اليوم، ما زلت أبحث فيما يعنيه ذلك“.

نتائج لجنة مراجعة المجاعة

وبينما يقوم مايكل فخري بمعالجة تناقضات السياسة الخارجية للولايات المتحدة، تقوم لجنة مراجعة المجاعة، وهي هيئة تابعة لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة، بمعالجة مقياس المجاعة.

وفي تحليل بتاريخ 21 كانون الأول/ديسمبر؛ خلصت لجنة مراجعة المجاعة إلى أنه خلال وبعد فترة وجيزة من "الهدنة الإنسانية" التي فرضتها إسرائيل لمدة سبعة أيام، وانتهت في الأول من شهر كانون الأول/ديسمبر، تم تهجير 25 بالمئة من سكان شمال غزة، و15 بالمئة من سكان غزة إلى الجنوب، وواجه 10 بالمئة من السكان في جنوب غزة ظروفًا غذائية كارثية معقولة.

وبالنظر إلى السابع من شهر شباط/فبراير؛ خلصت اللجنة إلى أن نسبة الجوع الكارثية يمكن أن ترتفع إلى 30 بالمئة في الشمال و25 بالمئة في الجنوب بالنسبة لسكان غزة النازحين. وقالت اللجنة إن تقديراتها متحفظة، ومن المرجح أن يكون معدل انتشار الجوع الكارثي أعلى.

وبالنظر إلى "توسيع نطاق النزاع عالي الحدة" و"مستوى النزوح المرتفع والمتزايد للغاية"، خلصت لجنة مراجعة المجاعة إلى أن جميع سكان رفح وخان يونس ودير البلح من المرجح أن يواجهوا "ظروفاً كارثية مماثلة"، بغض النظر عن وضع إقامتهم.

وأفادت لجنة مراجعة المجاعة، أنه "من بين 150 إلى 180 شاحنة طعام تدخل عادة إلى مرحلة ما قبل التصعيد اليومي، دخلت حوالي 30 شاحنة فقط إلى قطاع غزة بشكل يومي منذ انتهاء الهدنة الإنسانية في 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2023. وحتى التقديرات المتفائلة بشأن الأسعار الحرارية المحتملة التي يتم تسليمها في هذه الشحنات تشير إلى أن هذا المستوى من الإمدادات الغذائية أقل بكثير من المتطلبات الغذائية لجميع السكان.

وأشارت لجنة مراجعة المجاعة، في تقييمه الصادر في 21 كانون الأول/ديسمبر، والذي من المقرر أن يتم تحديثه بحلول نهاية هذا الشهر، إلى أن الأشخاص الذين يعانون من سوء التغذية والجوع يمرضون. وقالت لجنة مراجعة المجاعة إنه "إلى جانب اكتظاظ ملاجئ اللاجئين وغيرها من المواقع، والإمدادات المحدودة للغاية من المياه، يؤدي هذا الوضع إلى ارتفاع خطر تفشي الأمراض المعدية في سياق تدهورت فيه بشدة قدرة النظام الصحي على الاستجابة. ومن الواضح أن الوضع في غزة كارثي لجميع القطاعات ويتطلب استجابة سياسية عاجلة للغاية“.

ويعتبر كريس غانيس أقل دبلوماسية، وقد صرح المتحدث الرسمي السابق للأونروا لموقع "موندويس"، بأن "الوضع برمته مقرف"، وذلك ردًا على الادعاءات الإسرائيلية المتكررة بأن الآلاف من شاحنات المساعدات تدخل غزة، وأنه إذا لم تقم بتوصيل المساعدات الغذائية إلى سكان غزة الذين يعانون من الجوع والذين يحتاجون إليها، فهذا خطأ الجميع.

وقال غانيس إنه يجب إعادة تمويل الأونروا على الفور. (قالت السويد وكندا إنهما ستفعلان ذلك). وإذا لم يحدث ذلك، فإن "الكارثة الإنسانية ستتحول إلى انهيار للإنسانية"، كما قال غانيس لموقع

”موندويس“.

وتساءل غانيس ”هل يريد أندرو ميتشل، وزير التنمية في المملكة المتحدة، وديفيد كاميرون، وزير خارجية المملكة المتحدة، وأنتوني بلينكن، وإدارة ترودو، حقًا أن يحكم عليهم التاريخ بالتواطؤ في الإبادة الجماعية والمجاعة؟ لأن المجاعة، لكي نكون واضحين، ليست وشيكة. إنها تحدث الآن. المجاعة هي مذبحة بطيئة الحركة. وتلك المذبحة، كما رأينا في اليوم الأخير من شهر شباط / فبراير، بدأت تلك المذبحة“.

وقال غانيس: ”هذه ليست مثل المجاعة الإثيوبية في منتصف الثمانينات. هذه ليست كارثة طبيعية. هذا خيار سياسي تتخذه حكوماتنا، وعلى أصحاب الضمير في جميع أنحاء العالم أن يخبروا حكوماتهم، وأن يقولوا لممثلهم المنتخبين، أنهم لا يريدون أن يكونوا متواطئين في الإبادة الجماعية والمجاعة. هذا الجنون، وهذه المذبحة البطيئة لشعب غزة، يجب أن تنتهي“.

ويتحدث مايكل فخري وزملاؤه الخبراء الحقوقيون بشكل محدد. وكتبوا في بيانهم الصادر في الخامس من شهر آذار / مارس، أنه ”لا ينبغي استخدام المساعدات الإنسانية كورقة مساومة في المفاوضات“. وأضافوا أن ”توفير المساعدات الإنسانية هو الحد الأدنى من الالتزامات الإنسانية الأساسية التي يجب على إسرائيل تقديمها دون قيد أو شرط. ونكرر دعوتنا السابقة لحظر الأسلحة وفرض عقوبات على إسرائيل، كجزء من واجب جميع الدول لضمان احترام حقوق الإنسان ووقف انتهاكات القانون الدولي الإنساني من قبل إسرائيل“.

المصدر: موندويس